كلمة: موقف عظيم من مواقف الشاكرين

من كتاب

خِتَامُ السِّنِين

كَلِمَاتٌ قَصِيرَةٌ

لِلشَّيْخِ فَهْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَاضِي
رَحِمَهُ اللَّهُ

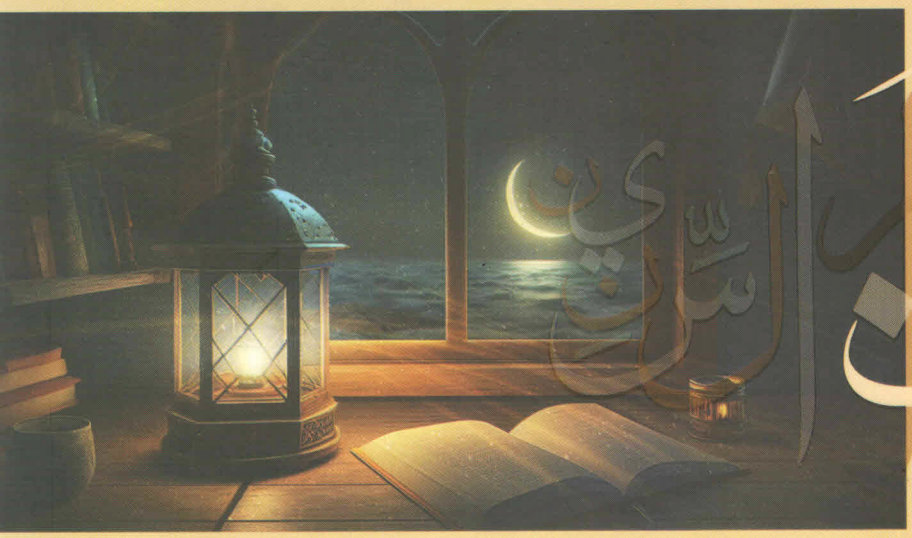

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ فَهْدٍ الْقَاضِي

دار الحضارة
الطبعة الأولى

وقــولُ اللهِ ﷻ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

هذا موقفٌ عظيمٌ من مواقفِ الشاكرينَ، فمع هذا الحَدَثِ النادرِ وقوعُه الخارقِ للعادةِ: مجيءُ هذا العرشِ بهذه السرعةِ الخاطفةِ؛ مع كِبَرِ حجمِه، وثقلِ وزنِه، وبُعْدِ مكانِه، ثم ما احتواه من زينةٍ تذهبُ بالألبابِ، وتَخْطَفُ الأبصارَ، كلُّ هذا وغيرُه لم يشغلْ عبدَ اللهِ ورسولَه سليمانَ عليه السلام عن الشكرِ، فقال في الحالِ: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

وهذا كموقفِه عليه السلام لما سمع النملةَ تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٨ ـ ١٩].

والذي يتكررُ حصولُه من أكثرِ الناسِ: أنَّ الواحدَ منهم إذا تجددتْ له نعمةٌ: انشغل عن شكرِ اللهِ عليها بفرحتِه بها التي أَنْسَتْهُ الشكرَ، أو انشغلَ بشكرِ من كتبَ اللهُ هذه النعمةَ على يديه، ولم يشكرِ اللهَ، أو انشغل بالتخطيطِ والترتيبِ: كيف يعملُ بها؟ وكيف يستثمرُها ويستمتعُ بها؟ إلى غيرِ ذلك من الصوارفِ.

أما من يستحضرُ في الحالِ نعمةَ اللهِ عليه، ويبادرُ بواجبِ الشكرِ: فقليلٌ، قال اللهُ ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

ولا يعني هذا عدمَ شكرِ المحسنِ وصاحبِ المعروفِ؛ بل شكرُهما مطلوبٌ، وفي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ: «**من صنعَ إليكم معروفًا فكافئوه**»[(١)]، لكنْ لا يُلْهِكَ شكرُه عن شكرِ الخالقِ الرازقِ ﷻ، ابْدَأْ بحمدِه ﷻ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو داود في السنن (١٦٧٢)، والنسائي في المجتبى (٢٥٦٧).